المقدمة

يُعتبر التاريخ بمثابة الذاكرة الحية للشعوب ، وصفة من الصفات التى تميز الكائنات الحية ، فأمةٌ بدون تاريخ هى أمة لا تستحق الحياة الآدمية .

ولذلك تهتم الأمم المتحضرة بتعليم تاريخها لأبنائها ،على اعتبار أنه من خلال التاريخ يمكن استشراف المستقبل ، وغرس الروح الوطنية فى نفوس المواطنين . وبالتالى اعتبروا التاريخ ، بجانب اللغة من المواد القومية التى تُدرس فى كافة المراحل التعليمية بداية من رياض الأطفال حتى الدراسات الجامعية وما فوقها. ولم تستثن أىّ نوع من التعليم إلا وجعلت التاريخ أحد المقررات الرئيسية ، ففرْق كبير بين طبيب يدرس التاريخ ، وبالتالى عند تخرجه سوف يعتبر أن الطب رسالة ، وفرق بين من لم يدرسه فيعتبر الطب تجارة مثلاً . وقس على ذلك كل التخصصات .

والحديث عن التاريخ وأهميته يطول وقد كُتبت فيه مجلدات ، لعل من أبرزها كتاب ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون) حيث عرَّف وتعرض لأهمية التاريخ . ومن الكتب الهامة التى خُصصت لإبراز أهمية التاريخ كتاب السخاوى «الإعلام بالتوبيخ، لمن ذمَّ علم التاريخ » وغيرها الكثير .

وانطلاقًا ، من أهمية علم التاريخ ، وأهميته فى حياة الإنسان ، نجد أن القرآن الكريم قد أشار لأهمية التاريخ ، حيث قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] ومن هنا اهتم المسلمون بتدريس التاريخ ، حتى أن علماء التاريخ كانوا هم أنفسهم علماء الحديث .

أقول هذه المقدمة من واقع آلمنى ، فحينما كنت فى طريقى للمنزل وأثناء ركوبنا الحافلة ، مررت بأحد المساجد الأثرية ، وهو على وجه التحديد جامع أحمد بن طولون . ولفت نظرى وجود رجل يرتدى ملابس غالية الثمن ، وتبدو على ملامح وجهه أنه يشغل عملاً هامًا ، من الممكن أن يكون فى حقل التعليم . وبجواره شاب لا يقل عنه أناقة فى الملبس ، ولا فى سمات الثقافة التى تبدو على وجهيهما .

فسأل الشاب وهو يقرأ اليافطة متعجبًا : مَنْ هو أحمد بن طولون ؟ فسكت الرجل ، ثم تحدث ولَيْتَه ما فعل ، فقد قال له : لا أعرف أصل دى آثارات . وياليته لم يكن يعرف فقط ، ولكن نطقه كلمة آثار خطأ . مما جعلنى أحس أن الدم يغلى فى عروقى ، فهذا الرجل لو كان نظر حتى فى كتاب من الكتب الدراسية لأدرك من هو ابن طولون ؟

وأعتذر للقارئ على طول المقدمة نسبيًّا ، ولكن لكى أوضح أهمية صدور كتاب يتناول بصورة مبسطة تاريخ مصر ، نعم نحن نعلم أن تاريخ مصر غنى ، ولا تكفيه المجلدات تلو المجلدات . ونعلم أيضًا أن من يتصدر لكتابة تاريخ مصر من أقدم العصور حتى العصر الحديث أشبه بمن يريد أن يعبئ نهر النيل فى زجاجة ، وهذا من المستحيل طبعًا ، ولكن هى مجرد محاولة نتمنى أن يُكتب لها النجاح إن شاء الله سبحانه وتعالى .

منهج الكتاب

وقد اتبعت منهجًا يقوم على تقسيم الكتاب إلى عدة فصول : تناول الفصل الأول ملامح تاريخ مصر فى العصر القديم حتى عصر الرومان .

أما موضوعات الفصل الثانى فتناولت الحضارة الفرعونية على مختلف مجالاتها سواء العمارة والفنون والحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية .

وبالنسبة للفصل الثالث فقد تناول تاريخ مصر منذ الفتح العربى حتى انتهاء عصر الولاة ، ويشمل موضوعات : وهى علاقة العرب بمصر قبل الإسلام ، ثم الفتح ، ثم عصر الولاة سواء فى عهد الخلفاء الراشدين ، أو عهد الدولة الأموية ، أو عهد الدولة العباسية .

والفصل الرابع تناول الدول التى قامت فى مصر مبتدئة بالدولة الطولونية ، والدولة الإخشيدية ، والدولة الفاطمية ، والدولة الأيوبية ، ودولة المماليك الأولى والثانية ، والفتح العثمانى لمصر .

أما الفصل الخامس فكانت موضوعاته عن الحملة الفرنسية على مصر ، وعصر محمد على وخلفائه ، مرورًا بالأحداث التى واجهت مصر حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

أما الفصل السادس فتناول موضوعات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م ومعركة سنة ١٩٥٦م ، ومعركة سنة ١٩٦٧م ، وحرب أكتوبر حتى معاهدة السلام .

وفى النهاية أتمنى أن يجد الكتاب قبولاً لدى القراء ، وهو على العموم عمل متواضع الغرض منه جمع الموضوعات التاريخية المبعثرة فى بطون الكتب ، تسهيلاً على القارئ للإلمام بتاريخ مصر .

عبد النعيم ضيفى عثمان

القاهرة فى ٥/ ٣/ ٢٠٠٧م